

## التشابه اللفظي في القرآن الكريم: التأصيل اللغوي وفهم مقاصد النص الشرعي

عبد العليم بوفاتح

كلية الآداب واللغات - جامعة عمار ثليجي (الأغواط)

Verbal similarity in the Holy Quran: Linguistic foundations  
and understanding the intentions of the religious text

boufatah abdelalim

Ammar Telidji University (Laghouat)

تاريخ الاستلام: 2025/08 / 01 تاريخ القبول: 2025 / 09 / 20 تاريخ النشر: 2025 / 12 / 01

## الملخص:

إن أواصر التقارب بين حقول العلوم الإنسانية أقوى وعلاقات التواضع بينها أوضح مما يكون بينها وبين سائر العلوم الأخرى، ولا سيما تلك العلاقة بين علوم اللغة والعلوم الشرعية. يظهر للبعض أن ألفاظ القرآن المتقاربة في صيغها تحمل المعنى نفسه، غير أنها تختلف اختلافاً بيناً في معانيها ودلالاتها، بل إن فيها من الأسرار البلاغية ما لا يتضح إلا بفهم لغتها وأسلوبها وكيفية ورودها في سياقاتها، وهناك أنواع متعددة من ظواهر التشابه اللفظي، وهي ذات سياقات متنوعة، ولا يتحقق فهم مقاصد النص القرآني من خلالها إلا بفهم هذه السياقات، لأن ذلك يؤدي إلى فهم مقاصد النص الشرعي. يهدف البحث إلى بيان أهمية التكامل بين اللغة والعلوم الشرعية فيما يكون النص القرآني محوراً له كما في علم التفسير الذي لا ينفك عن اللغة والبلاغة؛ مع التأكيد على أنه لا سبيل إلى فهم النص القرآني إلا بفهم لغته التي نزل بها. ومن هنا وجب العلم بقواعدها وسننها وضوابطها فهماً وتعبيراً وأداءً من أجل الوقوف على معانيه وأبعاده في ألفاظه وتراكيبه. تركز هذه الورقة على ظاهرة التشابه اللفظي في القرآن الكريم، لبيان تجليات ظاهرة التكامل، من خلال تأثير اللغة في تمييز دلالات هذه الألفاظ وبيان مقاصدها. وقد أثرنا أن يكون ذلك تطبيقياً من خلال نماذج قرآنية مختارة. أما المنهج الذي يبدو أنسب لطبيعة هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي، مع حضور للمنهج المقارن والمنهج التقابلي كذلك..

كلمات مفتاحية: تشابه، اللفظ القرآني، تأصيل، مقاصد،

## Abstract :

The bonds of convergence among the fields of humanities are stronger, and the interweaving relationships among them are clearer, than those between them and other sciences, especially the relationship between linguistic sciences and Sharia sciences. It appears to some that Quranic terms with convergent morphological forms carry the same meaning; however, they differ distinctly in their meanings and semantics. Furthermore, they contain rhetorical secrets that only become clear by understanding their language, style, and how they occur within their contexts. There are multiple types of verbal similarity phenomena, which appear in diverse contexts, and understanding the objectives of the Quranic text through them cannot be achieved except by understanding these contexts, as this leads to understanding the overarching objectives of the Sharia text.

To demonstrate the importance of integration between language and Sharia sciences where the Quranic text is the focal point, as in the science of Exegesis (Tafsir), which is inseparable from language and rhetoric; while emphasizing that there is no way to understand the Quranic text except by understanding the language in which it was revealed. Hence, it is obligatory to master its rules, norms, and parameters in terms of comprehension, expression, and articulation in order to grasp its underlying meanings and dimensions within its words and structures.

Finally, this paper focuses on the phenomenon of verbal similarity in the Holy Quran to demonstrate the manifestations of integration, through the impact of language in distinguishing the semantics of these terms and clarifying their objectives. We have chosen for this to be applied through selected Quranic models.

The methodology that seems most appropriate for the nature of this research is the descriptive-analytical approach, while the comparative and contrastive approach also plays a role.

**Keywords:** Similarity, Quranic term, foundational grounding, objectives.

#### إشكالية البحث :

تتمحور إشكالية البحث حول العلاقة القائمة بين حقول العلوم الإنسانية عموماً، والتواشج الطبيعي بين علوم اللغة العربية والنص الشرعي على وجه الخصوص. ويركز البحث على دراسة ألفاظ القرآن الكريم التي تبدو متشابهة، وذلك عن طريق تأصيلها من حيث صياغتها اللغوية وتنوع دلالاتها تبعاً لسياقاتها، ثم استثمار النظرية اللغوية والبلاغية العربية للوقوف على أسرارها ومعانيها المختلفة التي تتسم بالتجدد، بما يفضي إلى فهم المقاصد الشرعية المترتبة عن التحليل اللغوي البلاغي لهذه الألفاظ المتشابهة، بما ينسجم مع هذه المقاصد التشريعية.

#### أهداف البحث :

يهدف البحث إلى بيان العلاقة التكاملية الحتمية بين علوم اللغة والعلوم الشرعية، وإثبات أن النص القرآني الذي هو المصدر الأول للتشريع لا يمكن فهمه حق الفهم بمعزل عن بنائه اللغوي نحواً وصرفاً وبلاغة. وقد تم اختيار الألفاظ المتشابهة قصد الوقوف على الأثر الجلي لعلوم اللغة في توجيه دلالة اللفظ القرآني وبيان تنوع دلالاته انطلاقاً من تعدد سياقاته، على الرغم مما يبدو من تقارب بين الألفاظ المتشابهة. وبهذا التحليل والتأصيل اللغوي يتحقق الفهم الصحيح، ومنه تتجلى مقاصد الشرع من تعدد استعمال اللفظ القرآني، لأن هذا اللفظ لا يُقرأ أو يُفهم الفهم الصحيح إلا في سياقه.

#### منهج البحث:

اعتمد البحث أكثر من منهج، بدءاً بالمنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل، متجلياً في عرض الألفاظ المتشابهة واستعراض دلالاتها والقيام بدراستها وتحليلها، وصولاً إلى دلالاتها. مع الاستعانة بالمنهج المقارن والمنهج التقابلي أحياناً في مقابلة أجزاء المادة ومقارنة بعضها ببعض بقصد بيان الفرق بين الدلالات المختلفة بما يحصل من تغيير في اللفظ المستعمل في الآية التي تتضمنه، مع ربط ذلك بالمقصد الشرعي لنص الآية التي تضمنت هذا اللفظ أو ذاك.

#### ● توطئة :

يقصد بالتشابه اللفظي في القرآن الكريم، تلك الآيات التي تكررت في قصص القرآن أو موضوعاته المتنوعة، متجلياً تكرارها في ألفاظ متشابهة، ولكن في صور وفواصل متعددة، وأساليب متنوعة، تعريفاً وتنكيراً وتقديماً وتأخيراً، وإفراداً وجمعاً، وذكرًا وحذفًا، وإيجازاً وإطناباً، وإبدالاً وإدغاماً، فهو يشمل التراكيب والألفاظ ولا يكون إلا لغرض بلاغي، وسرّاً من

أسرار التعبير القرآني، لا يدركه إلا من أوتي بُغداً في النظر مع حسن اطلاع على خصائص الأسلوب القرآني وما يتميز به من بديع صياغة ألفاظه وإعجاز بلاغة نظمه .

هذا، وإنَّ النظر في الفروق الدلالية بين تراكيب القرآن الكريم وألفاظه لهو من أهم المباحث التي ينبغي الوقوف عليها لاستجلاء الأسرار البلاغية الكامنة فيها، إذ تأتي هذه الفروق اللفظية والتركييبية مناسبة تمام المناسبة للمعاني المراد التعبير عنها، فلا يؤدي هذه المعاني والدلالات إلا ما أختير لها من ألفاظ أو تراكيب، وهو ما لا يتحقق بصورة كلية ودقيقة إلا في أسلوب القرآن الكريم، وذلك نابع من إعجازه.

وقد تم التركيز في هذه الورقة على نماذج متنوعة لبعض الألفاظ والتراكيب المتشابهة، ومقابلة بعضها ببعض، لبيان الفروق الدلالية بينها والأسرار البلاغية المستفادة منها. فتم التطرق إلى بعض الظواهر الصرفية والصوتية، فضلاً عن بعض النماذج التركيبية للوصول إلى الهدف من ذلك، ألا وهو الوقوف على بعض الأسرار البلاغية من خلال النظر في مختلف السياقات التي وردت فيها هذه النماذج، مع علمنا أنَّ هناك نماذج كثيرة من هذا القبيل في القرآن الكريم، بحيث لا يمكن إحصاؤها أو الإلمام بها؛ لكننا أردنا أن نشير إلى ظاهرة التشابه بمختلف صورها، والوقوف على بعض أسرارها البلاغية.

#### • القرآن الكريم ودلالات اللفظ العربي :

لا شك أنَّ اللفظ العربي له من الفصاحة والعدوية والجزالة ما يرتقي بكلام العرب إلى أعلى المراتب في اتساق نظمه وعمق دلالاته وحُسن بلاغته؛ وإذا تعلق الأمر باستعمال هذا اللفظ في النظم القرآني كان ذلك أدعى إلى الإعجاز، وهو ما جعل بعض العلماء يعنون عناية كبيرة بالبحث في هذا الجانب والوقوف على أسرارها.. فقد أشار بعضهم إلى ثلاث جهات في إنشاء الكلام، هي «لفظ حاصل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم» (الجرجاني 45). وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه".

لقد كان للقرآن الكريم الأثر البارز في إثراء اللغة العربية وتوسيع مجالات استعمالها، بما أضاف إليها من الألفاظ والتراكيب الجديدة بما تحمله من دلالات، فضلاً عما أضفى عليها بنظمه الإعجازي من عمق في الدلالة ودقة في الوصف والتعبير؛ وبهذا اكتسبت العربية سنداً كبيراً استمدت منه بقاءها وثراءها ونضارتها بين اللغات (الزركشي 112-115). وكان ذلك دافعاً للباحثين قديماً وحديثاً كي يُقبلوا عليه دراسة وتحليلاً، فتناولوه موضوعاً ومصطلحاً.

وبنزول القرآن الكريم طرأ على اللغة العربية تغيير كبير كان من أبرز مظاهره حدوث اتساع وتشعب في دلالات الكثير من ألفاظها، ضمن ظاهرة التطور الدلالي لهذه الألفاظ؛ كما عرفت بعض الألفاظ تجددت في سياقات استعمالها لم تعهده من قبل..

وفي هذا الشأن كان الاهتمام بألفاظ القرآن الكريم وتميز دلالاتها من الأسباب المباشرة لظهور ما أصبح يطلق عليه (المصطلح القرآني) والمصطلح القرآني هو لفظ يحمل معنيين: أحدهما أصلي خارج السياق القرآني؛ والثاني اصطلاحي متجدد يخضع للسياق القرآني، سواء أوجدت علاقة بين المعنيين أم لم توجد.

#### • بلاغة التعبير القرآني ودقة ألفاظه وتراكيبه:

يتميز التعبير القرآني بعدة مزايا في ألفاظه وتراكيبه، منها دقة اختيار الألفاظ إن في ذاتها وفي تعالقيها فيما بينها، مع تناسبها مع مختلف السياقات التي ترد فيها؛ ومنها انتظام تراكيبه في انسجام بديع وتناسق رفيع لا يوجد إلا في النظم القرآني الذي ترتقي فيه الكلمة من دلالتها المعجمية البسيطة إلى دلالات أوسع وأرحب يتحقق بها الإعجاز في ألفاظه كما يتحقق في نظمه ومعانيه، فضلاً عما يتميز به من جهة جميل جرسه وحسن إيقاعه، وماله من أثر في السمع. وبهذا الانسجام التكاملي بين ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه صوتاً ودلالةً وبلاغةً وفصاحةً وجزالةً وعدوبةً تتجلى درجات إعجاز التعبير القرآني في بلوغ المقاصد بما يتسق مع مختلف السياقات.. وقد أشار بعضهم إلى مزايا الألفاظ القرآنية، وجمعها بين العدوية والجزالة

بحسب مقامات الكلام وسياقاته، وهذا الجمع بينهما وجه من وجوه الإعجاز البلاغي في نظم القرآن الكريم؛ فجزالة اللفظ تتجلى في ذكر الحساب، والعقاب والميزان والصراف والموت وما كان في هذا السياق، وكل ذلك من غير وعورة أو وحشية.

#### • عدوبة اللفظ القرآني :

تتجلى عدوبة اللفظ ورقته في ذكر حُسن الجزاء والثواب والعفو والغفران وما أعده الله لعباده من أعلى الدرجات في جنان الخُلد؛ وهذا الجمع بين الجزالة من جهة والعدوبة والرقّة من جهة أخرى في ذات الألفاظ يُعدّ من وجوه الإعجاز، كما أشار إلى ذلك الزركشي مبيّناً جانباً من إعجاز التعبير القرآني في "جمعه بين صفتي الجزالة والعدوبة، وهما كالمضادين، لا يجتمعان غالباً في كلام البشر، لأن الجزالة من الألفاظ التي لا توجد إلا بما يشوبها من القوة وبعض الوعورة، والعدوبة منها ما يضادها من السلاسة والسهولة. فمن نحا نحو الصورة الأولى فإنما بقصد الفخامة والروعة في الأسماع، مثل الفصحاء من الأعراب، وفحول الشعراء منهم ومن نحا نحو الثانية قصد كون الكلام في السماع أعذب وأشهى وألذ، مثل أشعار المخضرمين ومن دانهم من المولدين المتأخرين: وترى ألفاظ القرآن قد جمعت في نظمه كلتا الصفتين. وذلك من أعظم وجوه الإعجاز..." (الزركشي 145-146).

ويعلق ابن الأثير على خواتيم سورة الزمر، من الآية 68 إلى الآية 75 في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ...﴾ (الزمر: 68-75)، قائلاً: "تأمل هذه الآيات المضمنة ذكر الحشر على تفاصيل أحواله، وذكر النار والجنة، وانظر هل فيها لفظة إلا وهي سهلة مستعذبة على ما بها من الجزالة... وهكذا ترى سبيل القرآن الكريم في كلا هذين الحالين من الجزالة والرقّة." (ابن الأثير 89). ثم أشار ابن الأثير إلى أهمية اللفظ من خلال استعماله في النظم، حيث يتجلى ذلك التناسق والتشاكل والانسجام بين الألفاظ في علاقاتها فيما بينها.. وهو ما أشار إليه الجرجاني ضمن نظرية النظم التي عُرفت به وعُرفَ بها، إذ يقول: "إنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع، ثم تراها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر.." (الجرجاني 203)

نخلص ممّا سبق إلى أنّ "الخطاب القرآني معجز بما تميّز به في لفظه صرفاً وصوتاً وإيقاعاً ودلالةً وبلاغةً وفصاحةً؛ وبما تميز به في نظمه بناءً وتركيباً ودلالةً وانسجاماً وتناسقاً وتناسباً مع السياق ومقامات الخطاب (الجرجاني 215). وهو ما لا نجده إلا في التعبير القرآني في دقته وبلوغ مقاصده (الزركشي 178). وقد أثرتنا أن نضمن ورقتنا هذه بعض النماذج التطبيقية من القرآن الكريم لما يقع من التشابه بين بعض الآيات على مستوى الألفاظ والتراكيب - وما أكثر النماذج فيه من هذا القبيل - مع الوقوف على الفروق الدلالية والأسرار البلاغية بينها وفقاً لتعدد سياقاتها، وما تتميز به من بلاغة قرآنية تدل على الإعجاز الذي يتجلى في هذا النمط الأسلوبى من أنماط التعبير القرآني (السيوطي 92).

#### • التشابه بين تنكير اللفظ وتعريفه: (سلام - السلام) :

نجد لفظ السلام نكرةً في قوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: 15). ونجده معرفةً قوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: 33). فما هو الفرق بين الآيتين في تعريف لفظ (السلام) وتنكيره؟

ذكر الكرمانى في كتابه البرهان سبب تنكير لفظ (السلام) وتعريفه، من أنه "نُكِرَ في الأول وعُرفَ في الثاني، لأن الأول من الله عز وجل والقليل منه كثير، وقليل منك يكفيني، ولكن قليلك لا يقال له قليل... والثاني من عيسى عليه السلام، والألف واللام لاستغراق الجنس" (الكرمانى 143). كما أضاف قائلاً: "يجوز أن يكون ذلك من وحي الله عز وجل عليه، فيقرب من سلام يحيى... وقيل: إنما أدخل الألف واللام لأن النكرة إذا تكررت تعرفت" (الكرمانى 144).

أما النحوي أبو القاسم السهيلي فيرى أن الألف واللام في لفظ (السلام) تفيد عدة معانٍ أهمها:

• التبرك باسم الله لأن (السلام) من أسماء الله الحسنى

• أن يقصد به طلب معنى السلامة منه

• أن يقصد به عموم التحية منه سبحانه، ومن غيره (فسلام عليك) أي: سلام مني بمنزلة (السلام) في العموم (السهيلي 87).

وأما سر تنكير اللفظ في قوله تعالى: (وسلام عليه) فيقول: "...لأن المتكلم هنا هو الله تعالى فلم يقصد تبركاً بذكر الاسم الذي هو السلام، ولا تعوضاً وطلباً كما يقصده العبد" (السهيلي 88). أما قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿السَّلَامُ عَلَيَّ﴾ فإن للألف واللام معنى ومقصداً، لأن هذا العبد الصالح يحتاج كلامه إلى هذه الفوائد الثلاث" (السهيلي 89). نستنتج من تعليل السهيلي أن لفظ (سلام) بالتنكير هو من الله تعالى فنجد في الصفات: ﴿سَلَامٌ عَلَيَّ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (الصفات: 79)، ﴿سَلَامٌ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الصفات: 109)، ﴿سَلَامٌ عَلَيَّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (الصفات: 130)، ﴿وَسَلَامٌ عَلَيَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصفات: 181). وكذلك في تحيته لأهل الجنة ﴿وَتَجِيئُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ (يونس: 10)، ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ (ق: 34)، ﴿تَجِيئُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ (الأحزاب: 44). أما لفظ (السلام) معرفاً فجاء في تسليم الأنبياء ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ اتَّبَعِ الْهُدَى﴾ (طه: 47). وفي التنكير من قوة المعنى وعموم كثرته وعلو مصدره وشرف قدره ما ليس في تعريفه وتحديده وبيان غايته، فضلا عن كون الأول من الله جل وعلا والثاني من نبيه عليه السلام..

#### • التشابه في توالي الصفات: (السميع العليم):

نجد في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا يُنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: 200). وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا يُنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت: 36). فما هو الفرق بين الآيتين في تعريف وتنكير لفظ (السميع العليم)؟

يلعل الإسكافي سبب التعريف في سورة فصلت على ما تقدم من الآيات يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: 34). فالحسنة لا تساوي السيئة والسيئة لا تساوي الحسنة. فما يشق على الإنسان فعله هو أن يدفع السيئة بالحسنة، وهذه لا تكون إلا لذوي الأخلاق الفاضلة، فلما كان هذا الأمر شاق قال: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ ثم ثبت ذلك بقوله ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، أما آية الأعراف فقبلها قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: 199). فنجد فيها دفع إلى أحسن الأخلاق التي أمر بها الشرع. فملاحظ من تعليقه أنه ينظر إلى السياق المتقدم لآية (الإسكافي 156)

وله تعليل آخر وهو أن التنكير ورد لمراعاة الفاصلة لأن قبلها من الفواصل أفعال جماعة أو أسماء مأخوذة من أفعال كقوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وبعده ﴿يُخْلَقُونَ﴾ و﴿يُبْصِرُونَ﴾... والنكرة في الأسماء أقرب الألفاظ التي تؤدي معنى الفعل أما التعريف في آية فصلت فقبلها فواصل بها طريق الأسماء (الإسكافي 157) ونفهم من تعليقه الأول أن الإسكافي ينظر إلى توافق المعنوي أما تعليقه الثاني فينظر إلى اللفظي.

كما نجد ابن الزبير الغرناطي له نفس التعليل الذي يراعى السياق الآية المتقدم فيقول: "...والجواب: أن سورة الأعراف تقدم فيها قبل الآية وصف ألهم المنحوتة من الحجارة والخشب التي وبخوا بعبادتها في قوله في موضع آخر: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجِتُونَ﴾، فوضعت هنا بأنها لا تخلق شيئا ولا يستطيعون لهم نصرا وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون، فنفى عنهم القدرة والسمع والبصر وأله المشيء وأله البطش. في قوله تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَزْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ (الأعراف: 195).

ولم يتقدم هنا ما يوهم أدنى شيء يلحقها بشبه الأحياء فضلا عما فوق ذلك فوردت الصفات بقوله ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ موردا لم يتقدمه ما يوهم صلاحية شيء من ذلك لغيره تعالى مما عبده من دونه مما قصد هنا ولا ذكر دعوى شيء من ذلك من مدع فيستدعي ذلك التوهم مفهوما فجاء على ما يجب.

أما آية فصلت، في قوله تعالى: ﴿فَرِيئُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ (فصلت: 25). وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَفْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ (فصلت: 29). فحصل من هذا أن مضلهم إنما كانوا من عالم الإنس والجن وكلا الصنفين موصوف بالسمع والبصر وممن ينسب إليه علم بخلاف المقدم ذكر في الأعراف فلما تقدم في سورة السجدة من يظن منه الغنى ويمكن منه أن يسمع ويبصر ويعلم ناسبه التعريف في الصفة ليعطي بالمفهوم نفي ذلك عن غير الموصوف بهما تعالى ثم أكد ذلك بالضمير هذا المعنى مع إعطاء المفهوم إياه ولم يكن ورود ما في سورة الأعراف من التنكير ليناسب الوارد متقدما في سورة السجدة ولا التعريف الوارد في الصفتين العليتين في سورة السجدة ليناسب ما تقدم آية الأعراف فجاء كل على ما يناسب والله اعلم" (الغرناطي 203-204).

نستنتج من تفسير الغرناطي أن التعريف والتنكير مرتبط بغرض حدده السياق فالتعريف قد ارتبط سياقه بذكر أمة الجن والإنس فناسبها التعريف لحالهم. أما التنكير فارتبط بسياق الآلهة التي عبدت من دون الله فناسبها التنكير لعجزها. كما نستنتج أن تحليل الإسكافي لا يتناقض مع تحليل الغرناطي فالإسكافي ينظر إلى السياق المتقدم للآية على أنه يقصد به التوافق اللفظي والمعنوي. وعليه فالسياق والمقام يحددان تعريف المفردة القرآنية أو تنكيرها، حسب الغرض الذي يراد تأديته في القرآن الكريم.

#### • تشابه الاسم في لفظ (المعروف):

نجد هذا التشابه في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (البقرة: 234). كما نجده في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: 240). فما هو الفرق بين الآيتين في تعريف وتنكير لفظ (المعروف)؟

يفسر الخطيب الإسكافي سبب الاختلاف بين الآيتين بقوله: "ان الأول تعلق بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (البقرة: 234) أي لا جناح عليكم في أن يفعلن في أنفسهن بأمر الله، وهو ما أباحه لهن من التزوج بعد انقضاء العدة، فالمعروف هنا أمر الله المشهور، وهو فعله وشرعه الذي شرعه وبعث عليه عباده، والثاني المراد به فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من جملة الأفعال التي لهن أن يفعلن، من تزوج أو قعود فالمعروف ههنا فعل من أفعالهن يعرف في الدين جوازه وهو بعض ما لهن أن يفعلنه، ولهذا المعنى خص بلفظة (من) ونكر، فجاء المعروف في الأول معرفا لما أشرت إليه..." (الإسكافي 189). والملاحظ من تحليل الإسكافي أن التعريف في الآية الأولى للعبود وهو ما أقره الشرع للمرأة من الزواج بعد انقضاء العدة. أما تنكير في الآية الثانية فأفاد العموم والتفصيل. وهي الأفعال التي يجوز للمرأة فعلها مما يقره المشرع.

كما أضاف الكرمانلي تعليلاً آخر إذ يقول: «إن النكرة إذا تكررت صارت معرفة، فإن قلت: يحذف يصح ما قلت والأول معرفة والثاني نكرة؟ وما ذهب إليه يقتضي هذا بدليل قوله سبحانه ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ (15) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ (المزمل: 15-16). وهذه الآية بإجماع المفسرين مقدمة على الآية الأخرى في النزول، وإن وقعت في التلاوة متأخرة، ولهذا نظير في القرآن في موضع آخر، أو في موضعين، وأجمعوا أيضا على أن هذه الآية منسوخة بتلك الآية، والمنسوخ سابق على الناسخ ضرورة، فصح ما ذكر في قوله: (بالمعروف)، وهو ما ذكر في قوله: (من معروف) فتأمل فيه فإن هذا دليل على إعجاز القرآن. (الكرمانلي 201-202).

وأما آية ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ (15) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ (المزمل: 15-16) فتعريف (الرسول) فيها جاء بعد النكرة (رسولاً) فلما تكرّر جاء معرفاً، لأنه سبق تنكيره، وهو ما يقتضيه السياق، لأن اللفظ انتقل من سياق التنكير باعتبار ذكره أول مرة، ثم تحول من سياق التنكير إلى سياق التعريف باعتبار إعادة ذكره.. فكان هذا التحول تبعاً لتغيير السياق ومقتضاه..

• تشابه الاسم في لفظ (البلد) :

نجدها هذا مثلاً في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (البقرة: 126). وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم: 35). فما هو الفرق بين الآيتين في تعريف وتنكير لفظ (البلد)؟

نجد للخطيب الإسكافي تعليلين في هذه المسألة: الأول قوله: «الدعوة الأولى-التي في سورة البقرة وقعت ولم يكن المكان قد جعل بلداً، فكأنه قال: اجعل هذا الوادي بلداً آمناً، لأن الله تعالى حكى أنه قال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ (إبراهيم: 37)، بعد قوله: (اجعل هذا الوادي بلداً)، ووجه الكلام فيه تنكير الذي هو مفعول ثانٍ، وهذا مفعول أول، والدعوة الثانية وقعت وقد جُعِلَ بلداً، فكأنه قال: اجعل هذا المكان الذي صيرته كما أردت ومصرته كما سألت، ذا أمن على من أولى إليه، فيكون البلد على مذهب عطف بيان على مذهب سيويه، وصفة على مذهب أبي العباس المبرد، وأما مفعولاً ثانياً، فعرف حين عرف بالبلد ونكر حيث كان مكاناً من الأمكنة غير المشهورة بالتميز عنها بخصوصية من عمارة وسكنى...» (الإسكافي 231-232).

أما التعليل الثاني فهو قوله: «...والجواب الثاني أن تكون الدعوات واقعتين بعدما صار المكان بلداً، وإنما طلب من الله أن يجعله آمناً... فيجوز- في آية البقرة- أن يكون المراد جعل هذا البلد بلداً آمناً، فتدعو له بالأمن بعدما صار بلداً... ويكون مثل قوله (اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا) وتكون الدعوة واحدة قد أخبر الله عنها في الموضوعين...» (الإسكافي 233).

يتضح من التعليل الأول للإسكافي أن الإشارة في آية البقرة كانت قبل الاستقرار، فاسم الإشارة (هذا) إشارة إلى المذكور في قوله تعالى: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ (إبراهيم: 37). عندما ترك زوجته وابنه في الوادي قبل بناء مكة والبيت الحرام. وأما في آية إبراهيم فالإشارة إلى البلد بعد الاستقرار وبعد البناء. أما تعليله الثاني فتقدير آية البقرة: اجعل هذا البلد بلداً آمناً، فحذف البلد اكتفاء بالإشارة، وهذا ملائم للسياق.

كما نجد لابن الزبير الغرناطي تعليلاً آخر يقول فيه: «ولو تعرف لفظ بلد بالألف واللام وجرى على اسم الإشارة لم يكن ليحوز بيانا على ما تحمل مما تقدم بل كان يكون كالتكرار، فورد الكلام على ما هو أحرز للإيجاز وأبلغ في المقصود، وأما آية سورة إبراهيم فلم يتقدم فيها ما يقوم لاسم الإشارة مقام التابع المعرف بجنس ما يشار إليه، فلم يكن بدمن إجراء البلد عليه تابعا له بالألف واللام على المعهود الجاري في أسماء الإشارة.» (الغرناطي 178).

يتضح من كلام الغرناطي أن اسم الإشارة في آية البقرة لم يقصد أن يكون له تابع يوضحه اكتفاء بالواقع قبله فهو يربط توجيهه بالسياق السابق للآية.

انطلاقاً مما سبق يتضح لنا أن توجيه الغرناطي أدق لأنه توجيهه ارتبط بالسياق السابق للآية. كما يتبين لنا الغرض البلاغي من تعريف لفظ البلد وتنكيره، وهو ارتباط الدعاء بالبلد تعريفاً وتنكيراً. فالتنكير مرتبط بدعوة إبراهيم الأولى عندما أودع ابنه إسماعيل (عليهما السلام) عند البيت المحرم وكان البيت في مكان مقفر موحش، أما الدعوة الثانية فقد جاءت بعدما أصبح المكان عامراً بالناس. والله أعلم.

وهناك ظاهرة لفظية أخرى للتشابه اللفظي في القرآن الكريم، إذ تضمن الخطاب القرآني بعض المفردات المتشابهة التي فيها إبدال وإدغام، أو بعض الظواهر الصوتية التي تميز كلمة عن أخرى، وكل ذلك له دلالاته ومقاصده، كما تتجلى فيه بلاغة التعبير القرآني. فمن ذلك مثلاً، قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهِمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ وفي آيات أخرى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ونحو قوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القرآن) وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ ونحو قوله: ﴿يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ وقوله: ﴿يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾، بل ربّما جمع الصيغتين في آية واحدة، أو آيات متقاربة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (التوبة: 108)، وأصل الإبدال هو الفكّ بالتاء، فدَبَّرَ أصله (تَدَبَّرَ) فأبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال، فسكّنت الدال

الأولى وهي بهمزة الوصل توصلاً إلى النطق بالسّاكن (السامرائي 145). ومن هذه المتقابلات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم: (يذكرون - يتذكرون) (يضرعون - يتضرعون) (المصدّقين - المتصدّقين) (يدبّروا - يتدبّروا) (يزكّي - يتركّي) (المطهّرين - المتطهّرين) (اطّبرنا - تطّبرنا) (يخصمون - يختصمون).

ويرى السامرائي أنّ هناك حقيقتين لغويتين لا بدّ من ذكرهما في هذا الأمر:

الأولى: أنّ بناء (يتفعّل) أطول من بناء (يقعل) في النطق، ف(يتذكّر) أطول من (يذكّر) بمقطع واحد، ف(يتذكّر) متكوّن من خمسة مقاطع: (يَ + تَ + ذَ + كَ + رُ) في حين أنّ (يذكّر) متكوّن من أربعة مقاطع (يذُ + ذَ + كَ + رُ) (السامرائي 147) والقرآن الكريم يستعمل بناء "يتفعّل" لما هو أطول زمناً، وقد يستعمله في مقام الإطالة والتفصيل. كما يؤتي بهذه الصيغة في اللّغة في الغالب للدلالة على التدرّج التي يقتضي بدوره الاستمرار في الحدث، في حين يُكتفى في البناء الآخر بوقوع الحدث ولو في أدنى المراتب.

والحقيقة اللّغوية الثانية تتمثّل في أنّ البناء (يقعل) فيه تضعيف زائد على (يتفعّل) ففي (يقعل) تضعيفان وفي (يتفعّل) تضعيف واحد، وهذا التّضعيف الزائد يستعمله القرآن للمبالغة في الحدث والإكثار منه، فتكرار الحرف في كتب اللّغة العربيّة إشارة إلى تكرار الحدث. جاء في الخصائص: «ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل فقالوا: كسّر وقطّع وفتح وغلّق» (ابن جني 2: 89). ومن ذلك في غير الأفعال نونا التوكيد الثّقيلة فإنّها أكد من الخفيفة. ولناخذ أمثلة من هذه النماذج التي تندرج ضمن المستوى الصرفي والمستوى الصوتي، حيث نجد كل ظاهرة جاءت في سياقها المناسب الذي يقتضيها، وفي هذا السياق ذاته تتجلى بلاغتها..

#### • تشابه الفعل: بين يرتدّ ويرتد:

جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (البقرة: 217). وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة: 54). فقد وردت في آية البقرة بالفكّ (يرتد) وفي آية المائدة بالإدغام (يرتد).

يعلّل بعضهم ذلك بأنّه جاء بالفعل الثّقيل وهو (يرتد) في الظرف الثّقيل وهو الحرب والفتنة، إذ وردت في سياق الآية كالتالي: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (البقرة: 216). فهذه الرّدّة بعد الفتنة والقتال، والموقف الثّقيل الذي يوجي لفظه بالهزيمة والتكوص، والرجوع إلى الورا، لأنّ فكّ الإدغام معناه الرجوع إلى المخرج بعد انتقاله عنه كما قرره علماء اللّغة، فهو أشبه بالتراجع في الحرب، والمرتدّ عن دينه بسبب الحرب والفتنة مهزّم ناكص إلى الورا، فناسب بذلك بين اللفظ والمقام «(السامرائي 189). والارتداد عن الدين يتخذ طريقتين: طريق السّرية والخفاء، ويناسبها الإدغام لأنّه في حقيقته إخفاء للصوت، وطريق المجاهرة والإظهار ويناسبها الفكّ لأنّه في حقيقته إظهار للصوت.. أما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: 54). فالموقف هنا موقف عافية واختيار، ظرف خفيف يلائمه لفظ ومقام خفيفان (السامرائي 195).

وبربط اللفظين في الآيتين بسياق الحال نجد تناسباً فنياً معجزاً، إذ وردت "يرتد" في سياق الحديث عن المنافقين، وسبقت بقوله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ (المائدة: 52). وهذا السياق يناسبه الإدغام إشارة إلى أنّ الارتداد يتخذ لدى المنافقين جانباً سرياً؛ في حين جاءت الصّيغة الثانية في سياق الحديث عن الكفّار وقتالهم للمسلمين ومحاولة ردّهم عن دينهم في نفس الآية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ

اسْتَطَاعُوا ﴿البقرة: 217﴾، وهذا السِّيَاق يتناسب مع فكّ الإدغام، لأنّه يعبّر عن ارتداد الكفّار المتّسم بالمجاهرة وتوكّده صيغة الفعل يرتدد.

ويعلّق البقاعي عن فكّ الإدغام هنا بقوله: «وإجماع القرّاء على الفكّ هنا للإشارة إلى أنّ الحبوط مشروط بالكفر ظاهراً باللّسان وباطناً بالقلب، فهو مليح بالعبو عن نطق اللّسان مع طمأنينة القلب، وأشارت قراءة الإدغام في المائدة إلى أنّ الصّبّر أرفع درجة من الإجابة باللّسان وإن كان القلب مطمئناً» (البقاعي 2: 178).

#### • تشابه الصفة: بين المصدّقين والمتصدّقين:

ورد لفظ المتصدّقين مرتين، الأولى في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (يوسف: 88). والثانية في قوله تعالى: «...وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» (الأحزاب: 35).

وورد لفظ (المصدّقين) في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد: 18)؛ فقال في آية يوسف (المتصدّقين) وفي آية الأحزاب (المتصدّقين) والمتصدّقات) غير أنّه قال في آية الحديد (إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ) بالإبدال والإدغام فناسب كلّ تعبير موطنه (السيوطي 3: 112). ذلك أنّ صيغة (المصدّقين) في سورة الحديد قد حقّقت عدّة دلالات، فهي تدلّ على الإكثار من الصدقة، وإخفائها والسريّة فيها، وربّما تدلّ أيضاً على لصوق هذه الصّفة بهم حتى صاروا يُعرفون بها (الزركشي 2: 89).

وهذا تناسباً مع سياق السورة الذي ورد فيه ذكر المبالغين في الصّدقة وتكرّر فيه ذكر الإنفاق والنهي عن البخل. فقد قال سبحانه: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الحديد: 7). وقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلْ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ (الحديد: 10)، وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد: 11)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾ (الحديد: 18). فنلاحظ أنّه تكرّر ذكر التّفقات مع المفاضلة بينها من حيث السّبق وحاجة المتصدّق لها ومضاعفة أجرها عند الله تعالى، وهذا يقتضي ذكر صيغة المفاضلة أو المبالغة (ابن عاشور 28: 65).

في حين لم يرد ذكر الإنفاق والصدقات في سورة الأحزاب على طولها وهي ثلاث وسبعون آية، عدا ما ورد في هذه الآية التي جمعت عدداً من صفات أهل الإيمان، وقوله سبحانه وتعالى مخاطباً نساء النبي "صلى الله عليه وسلم" ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتَيْنَ الزَّكَاةَ﴾ (الأحزاب: 33)، فجاءت الصّيغة لتشمل عموم أصحاب النّفقة (القرطبي 14: 178).

أمّا في آية يوسف، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ ولم يقل (المصدّقين) لأكثر من سبب، منها أنّه مناسب لقوله: «وتصدّق علينا» ومنها أنّهم طلبوا التصدّق ولم يطلبوا المبالغة في الصّدقة، وذلك من حسن أدبهم، ومنها أنّه لو قال: (إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُصَدِّقِينَ) لأفاد بذلك أنّ الله يجزي المبالغين في الصّدقة دون من لم يبالغ، وهذا غير مراد، لأنّ الله يجزي على القليل والكثير (الرازي 18: 156).

#### • ظاهرة التشابه بين ذكر الحرف وحذفه:

إثبات حرف من كلمة قرآنية في موضع أو حذفه في آخر، أو تغيير حركته ليس بالأمر الاعتيادي، إنّما هو أمر مقصود ينطوي على حكم باهرة. فقد يحذف في التعبير القرآني من الكلمة نحو: (استطاعوا واسطاعوا) و(تنزل وتنزل)، (توفاهم وتوفاهم)، (لم يكن ولم يك)، وكل ذلك لغرض معين وغاية كامنة، فالحذف في القرآن مقصود، كما أنّ عدم الحذف مقصود (الزمخشري 56.4) ومن القيم البيانية على سبيل المثال:

1. عدم اكتمال الحدث وقصر زمنه، مقارنة مع ما لم يحذف منه. وهذا مما تكرر في عدة مواضع من القرآن الكريم.
  2. التناسب مع مقام الایجاز والاختصار، وفي المقابل يحافظ على اللفظ بأوفى صورة في مقام الاطالة والتفصيل (ابن جني 1: 234). "وما يدل على أن القرآن الكريم لا يستعمل الحذف لمجرد الاقتصاد في الجهد العضلي إبقاؤه على نون كان المجزومة مع امكان الحذف في سبعة وخمسين موطنًا، وحذفها سبع عشرة مرة فقط" (السيوطي، 89.3)
- ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿يَا بُيَّيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ (لقمان: 16). فقد حذف النون لأنه في الأول لم يعين مكانها، فهي أبعد في الوجود، أي: هباءة تائهة لا مكان لها، ولم يحذف لما عين مكانها بقوله (في صخرة) (الرازي 25: 78).
- ومن دلالات حذف النون التنبيه على صغر مبدأ الشيء وحقارته، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ (القيامة: 37)، فقد حذفت النون تنبيها على مبتدأ الإنسان وصغر قدره بحسب ما يدرك هو من نفسه ثم يترقى في أطوار التكوين (القرطبي 19: 156). هذا الانسان الذي كرمه الله سبحانه وتعالى، فقد تكون هذه دعوة للتفكير والتدبر في خلقه.
- كما يمكن للحذف أن يكون دلالة على عدم قدرة المتكلم على إتمام الكلام بسبب الضعف أو الرغبة عن الحديث، نحو قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ \* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمُسْكِينِ..﴾ (المدثر: 43-44). أو ربما يحقق الحذف النبي عن حدوث الفعل بالكلية بحيث لا يحصل منه شيء، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل: 127)، وقوله في سورة النمل: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النمل: 70)، فحذف نون (تكن) في آية النحل وأبقاها في آية النمل، ذلك أن السياق مختلف في السورتين (الزمخشري 2: 345).
- ذكر الزمخشري وابن كثير في تفسيريهما " أن الآية الأولى نزلت حين مثل المشركون بالمسلمين يوم أحد... بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به، فرآه مبقور البطن، فقال: «أما والذي أحلف به لئن أظفرتني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك» فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل: 126-128)، فكفر عن يمينه وكف عما أَرَادَهُ" (ابن كثير 4: 456). فقد أراد الله سبحانه وتعالى نزع الضيق من النفس أصلا، وفيه تطيب مناسب نتيجة فخامة الامر وبالغ الحزن، وتخفيفا وتهوينا على المخاطب، فحقق الفعل بالحذف إشارة إلى تخفيف الامر وتهوينه على النفس. (الألوسي 14: 89).
- جاء في البرهان للكرمانى: «إنما خصت سورة النحل بحذف النون موافقة لما قبلها وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: 120)، والثاني: أن هذه الآية نزلت تسليبة للنبي صلى الله عليه وسلم حين قُتِلَ عَمُّهُ حَمْزَةٌ وَمِثْلُ بِهِ، فقال عليه الصلاة والسلام: لأفعلن بهم ولأصنعن؛ فأنزل الله ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ...﴾ ليكون ذلك مبالغة في التَّسْلِي، وجاء في النمل على القياس لأن الحزن هناك دون الحزن هنا، والله أعلم» (الكرمانى 3: 156)..
- وقد يكون الحذف مناسباً لمقام الحياء، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (مريم: 20)، ذلك أنها لا تريد أن تبتسط في الحديث مع رجل غريب في خلوة؛ أو ربما هو نفي تام عن حدوث الفعل "البغي" (السيوطي 4: 89). وكلا المعنيين وارد، ولعل المعنى الثاني أقرب وأسبق، إذ إن نفي البغي مُقَدَّم للبراءة..
- ومن أمثلة الحذف (أنا - أننا)، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 52). وقوله: ﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (المائدة: 111). فقد حذفت النون من (أنا) في آية آل عمران وثبتت في آية المائدة، لأنه سبحانه وتعالى هو الذي أوحى للحواريين وثبتهم فورده النون في مقام التأكيد، ولم يرد مثل ذلك في آية آل عمران. (الغرناطي 2: 78). كما أن استجابة الحواريين كانت سريعة من دون فصل بينها وبين أمر الله، فكان التأكيد أدل في هذا

السياق، بينما جاءت استجابتهم في آية آل عمران بعد إثبات أنهم أنصار الله، فكان هذا الإثبات هو جزء من التوكيد، فأكتفي بنون واحدة لتكون كافية لهذا المعنى، والله أعلم.

ونقل بعضهم عن "ملاك التأويل" ان آية المائدة لما ورد فيها من التفضيل فيما يجب الايمان به في قوله تعالى: (أن آمنوا بي وبرسولي) فجاء على أتم عبارة في المطلوب وأوفاهما، ناسب ذلك (أننا) على أوفى الحالين وهو الورد على الأصل ولما لم يقع افصاح بهذا التفضيل في سورة آل عمران حين قال تعالى (قال الحواريون نحن انصار الله أمنا بالله) فلم يقع هنا (وبرسوله) ايجازاً للعلم به وشهادة السياق، ناسب هذا الاجاز، كما ناسب الاتمام في آية المائدة الاتمام، فقبل هنا (واشهد أنا مسلمون) وجاء كل على ما يجب، ولو قدر ورود العكس لما ناسب» (السامرائي 3: 112).

ومن صور الحذف التي وردت في القرآن الكريم، حذف تاء المضارعة في (تنزل – تنزل) نحو قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (القدر: 4)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (الشعراء: 221-222)، فحذفت احدى التاءين في حين قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: 30).

إن ورود (تنزل) من دون حذف في هذه الآية الأخيرة يعود لأن التنزل فيها أكثر منه في الآيات الأخرى، وذلك لان الملائكة تنزل في كل لحظة وحين لتبشر المؤمنين عند الموت بالجنة، أما آية الشعراء، فإن التنزل فيها أقل لان الشياطين تنزل على الكهنة أو على قسم منهم فقط، وهم الموصوفون بقوله: "كل أفاك أثيم يلقون السمع"، فاقتطع من الفعل إشارة إلى أنهم قلة» (السيوطي 4: 156) وكذلك الحال في سورة القدر «فإن تنزل الملائكة في ليلة واحدة في العالم وهي ليلة القدر، هو أقل من التنزل الذي يحدث باستمرار على من يحضره الموت، فحذف من اللفظ إشارة الى الاقتطاع من الحديث» (الزركشي 3: 189). ومنه أيضاً (توفاهم – تتوفاهم)، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ (النساء: 97)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ..﴾ (النحل: 28) فحذفت التاء من آية النساء، لأن المتوفين فيها هم جزء من المذكورين في النحل، أي الذين ظلموا أنفسهم من الكافرين على وجه العموم، اما في النساء ففئة مستضعفه منهم، لذلك حذف من الفعل الذي يمثل القلة إشارة إلى الاقتطاع من الحدث وإلى قلة بالنسبة للآخرين (السامرائي 3: 145).

وتتنوع مظاهر الحذف في القرآن الكريم، من ذلك حذف التاء من (استفعل) في الماضي والمضارع، نحو(اسطاع – استطاع) في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (الكهف: 82)، فقد حذفت التاء تخفيفاً للفظ من الفعلين: (اسطاعوا) و(تسطع) لاشتراك التاء والطاء في مخرج واحد (ابن جني 2: 67). وقرب بعضهم السين من الطاء بعد الحذف ففخمها، فصار اللفظ (تسطع) وقرأ به أحمد بن صالح عن ورش وقالون عن نافع (الزركشي 4: 112).

يقول ابن كثير موضحاً ومفسراً: «ولما أن فسره له وبينه ووضحه وأزال المشكل قال: (تسطع)، وقبل ذلك كان الإشكال قوياً ثقیلاً، فقال: سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبراً، فقابل الأثقل بالأثقل والأخف، كما قال: فما اسطاعوا أن يظهروه وهو الصعود إلى أعلاه، وما استطاعوا له نقباً، وهو أشق من ذلك، فقال كلا بما يناسبه لفظاً ومعنى» (ابن كثير 5: 78).

ويفسر السامرائي ذلك بقوله: «الصعود على هذا السد الذي صنعه ذو القرنين من زبر الحديد والنحاس والمذاب أيسر من إحداث ثقب فيه لمرور الجيش، فحذفت التاء من الحدث الخفيف، فقال: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾. بخلاف الفعل الشاق الطويل، فإن التاء فيه لم تحذف، بل أعطاه أطول صيغة له، فقال: "وما استطاعوا له نقباً" ثم إنه لما كان صعود السد يتطلب زمناً أقصر من إحداث الثقب فيه، حذف من الفعل وقصر منه ليجانس النطق الزمن الذي يتطلبه كل حدث، كما ناسب حذف التاء من اللفظ خفة المتسلق، لأن تسلق جدار السد العالي الأملس الخالي من النتوءات والمقابض، يحتاج إلى خفة ورشاقة ومهارة، فتخفف اللفظ من أحد أصواته كما يتخفف المتسلق من بعض أحماله، وهذا عكس ما

يعانيه الذي يحدثه النقب من أثقال مادية ونفسية وزمانية، تتناسب مع ثقل اللفظ بلا حذف." ( السامرائي 4: 201). كما يلاحظ ههنا التدرج في الفعل من السهل إلى الصعب، في الفعل كما في النطق على السواء.. ومن الثابت أنّ الزيادة في المعنى تؤدّي إلى زيادة في المبني، فحين بنى ذو القرنين السد على أجوج ومأجوج، كي يمنع فسادهم، أراد هؤلاء الخروج فحاولوا تسلق السد فما (اسطاعوا) وما أفلحوا، ثم حاولوا نقبه وتخريبه فما (استطاعوا) كذلك، فبدأ الفعل سهلاً خفيفاً، ثم أصبح شاقاً عسيراً لزيادة التاء فيه (الرازي 21:156).

إنّ ظاهرة التشابه اللفظي من أبرز الظواهر التي تتجلى فيها صفة الإعجاز، إذ تبدو بعض الألفاظ متقاربة في بنيتها الصرفية وتشاكلها الصوتي لكن بينها من الفروق ما يبيّن أنّ لكل منها دلالة التي تميزه عن غيره، وهو ما يدل على بلاغة التعبير القرآني تناسباً مع مختلف السياقات، بحيث نجد الدقة في اختيار الألفاظ وفي تعالقها فيما بينها، في نظم عجيب يتميز بالاتساق والانسجام الذي لا يوجد إلّا في القرآن الكريم، وهذا أحد وجوه الإعجاز وهو من بلاغة الخطاب القرآني. (الجرجاني 215). وما أكثر مثل هذه النماذج في القرآن الكريم. وما من لفظ أو تركيب إلّا له دلالة مقصودة ومعنى مراد..

#### \* نتائج البحث :

في ختام هذا البحث يمكن أن نقف على عدة نتائج نجملها فيما يأتي :

- تتعدد صور التكامل بين مختلف العلوم والفنون، ومنها تكامل العلوم الإنسانية فيما بينها، وتكاملها مع سائر العلوم والفنون التي يبدو بينها تباعد في الاختصاص الذي يميز كل علم أو فن عما سواه..
- إن مبدأ التكامل بين فروع العلوم الإنسانية أمر لا سبيل إلى تجاوزه في البحث العلمي، على الرغم من تعدد الحقول وتشعب التخصصات في كل منها، ذلك أنّ حاجة هذه الفروع بعضها إلى بعض أصبحت ضرورة في ظل تطور المعرفة الإنسانية في العصر الحديث..
- من أبرز مظاهر التكامل بين فروع العلوم الإنسانية ما هو حاصل بين علوم اللغة العربية والعلوم الشرعية على تنوعها وتعدد مجالاتها..
- إنّ القرآن الكريم، وهو المصدر الساس للتشريع الإسلامي، لا يمكن فهمه حق الفهم، أو بيان مقاصده إلّا بفهم أبنيته وتراكيبه اللغوية، وإدراجها ضمن سياقاتها للكشف عن المراد منها.
- يحظى اللفظ القرآني بأهمية خاصة تميزه عن اللفظ العربي عموماً، إن من حيث عمق دلالاته، وإن من حيث تجدد سياقاته وفقاً لما هو مراد من الآية التي تضمنته.
- قد يكون تشابه الألفاظ القرآنية مفضياً إلى تقارب في دلالاتها، مع إثبات وجود فروق فيما بينها من جهة عمق الدلالة أو اتساعها، مع بقاء التقارب بين الألفاظ.. وقد تتقارب هذه الألفاظ شكلاً ونطقاً ولكنها تكون متباعدة أشد التباعد فيما بينها من دلالاتها..
- قد تكون زيادة حرف أو نقصانه بين لفظ وآخر مما يؤدي إلى فرق كبير في المعنى بين اللفظين، ومنه يتغير معنى الآية عن الأخرى تغيراً واضحاً..
- ترتبط دلالات اللفظ بدلالات الآيات التي تضمنتها، وكلما وقع تغيير في بناء اللفظ وصياغته أدّى ذلك إلى تغيير دلالة الآية، مما يترتب عليه تغيير في فهم المعنى ومقاصد الشرع من هذه الآية..

– إنَّ الإلمام بعلوم اللغة شرط أساس لفهم القرآن الكريم وبيان مقاصده الشرعية، ولا يمكن التصدي لتفسير القرآن وفهم أبعاده ودلالاته والوقوف على أسرارهِ ولطائفهِ إلاَّ بالإلمام بالإحاطة بعلوم اللغة العربية، وفي طليعتها النحو والصرف والبلاغة، وفهمها فهماً عميقاً تتجلى فيه علاقة الألفاظ والتراكيب بسياقاتها ودلالاتها، من أجل استكشاف ما تتضمنه من المعاني والمقاصد...

#### بيانات الإفصاح:

- الموافقة الأخلاقية والموافقة على المشاركة: تم الاتفاق على المشاركة في البحث وفقاً للإرشادات الخاصة بالمجلة.
- توافر البيانات والمواد: كافة البيانات والمواد متاحة عند الطلب.
- مساهمة المؤلفين: يتحمل المؤلفين مسؤولية كافة محتويات البحث والتحليل والمنهجية والمراجعة الكاملة.
- تضارب المصالح: لا يوجد تضارب في المصالح لأي طرف من خلال تصميم البحث وتقديمه وتقييمه.
- التمويل: لا يوجد أي تمويل مخصص لهذا البحث.
- شكر وتقدير: الشكر الجزيل لأكاديمية التطوير العلمي ومجلة المؤتمرات العلمية (JSC) على الدعم والإرشادات

([/https://sdasmart.org/jsconf](https://sdasmart.org/jsconf))

#### \* المصادر والمراجع :

1. ابن الأثير، ضياء الدين .د.ت. *المثل السائر*. دار نهضة مصر.
2. الأخفش، سعيد بن مسعدة. 2003. *معاني القرآن*. تحقيق عبد القادر محمد أمين الورد. عالم الكتب.
3. الإسكافي، الخطيب .د.ت. *درة التنزيل وغرة التأويل*. تحقيق عبد الحميد هندواوي. دار ابن الجوزي.
4. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم .د.ت. *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. دار الكتاب الإسلامي.
5. بني دومي، خالد. 2006. *دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم*. عالم الكتب الحديث.
6. الجرجاني، عبد القاهر. 2000. *دلالات الإعجاز*. تحقيق ياسين الأيوبي. المكتبة العصرية.
7. ابن جني، أبو الفتح عثمان. 1952. *الخصائص*. تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية.
8. الخطابي، حمد بن محمد . 1976. *بيان إعجاز القرآن*. ضمن: *ثلاث رسائل في إعجاز القرآن*. تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف.
9. الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر. 1988. *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق مصطفى عبد القادر، دار الفكر.
10. السامرائي، فاضل صالح. 2016. *بلاغة الكلمة في التعبير القرآني*. دار ابن كثير.
11. السامرائي، فاضل صالح. 2000. *الجملة العربية والمعنى*. دار ابن حزم.
12. السامرائي، فاضل صالح. 2003. *معاني النحو*. شركة العاتك.
13. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن. 1984. *نتائج الفكر في النحو*. تحقيق محمد البناء، دار الرياض.
14. الشترتي، صالح عبد الله محمد. 2001. *المتشابه اللفظي في القرآن الكريم و أسرارهِ البلاغية*. أطروحة دكتوراه. جامعة أم القرى.
15. الغرناطي، ابن الزبير .د.ت. *ملاك التأويل*. تحقيق محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية.
16. ابن كثير، إسماعيل بن عمر . 2000. *تفسير القرآن الكريم*. تحقيق مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة.
17. الكرمانى، محمود بن حمزة .د.ت. *البرهان في متشابه القرآن*. تحقيق السيد الجميلي، مركز الكتاب للنشر.